

عبد اللطيف دريان(\*)

إِنَّ الْمُصْطَلِحَ الرَّئِيسَ فِيمَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ مِنْ حَدِيثٍ عَنِ الْعَيْشِ الْمُشْتَرِكِ وَتَجَارِبِهِ  
وَمُبَادِرَاتِهِ، هُوَ مُصْطَلِحٌ أَوْ مَبْدَأُ «الْمُوَاطَنَةِ» وَلَهُ ثَلَاثَةٌ شُرُوطٍ: وَجُودُ الدَّوْلَةِ،  
وَوُجُودُ الحُرِّيَّاتِ الأَسَاسِيَّةِ فِي الدُّسْتُورِ وَالوَأَقِيعِ، وَوُجُودُ حُكْمِ القَانُونِ.  
إِنَّ هَذِهِ الأُمُورَ الثَّلَاثَةَ -عَلَى خُطُورِهَا- مَا عَادَتْ بِدِيَهِيَّةٍ فِي عَالَمِنَا العَرَبِيِّ؛ فَالدُّوْلُ  
تَتَصَدَّعُ وَتَسْقُطُ، وَالحُرِّيَّاتُ الأَسَاسِيَّةُ لَا تَجِدُ مُوَطِنًا تَحُلُّ فِيهِ، فَكَيْفَ بِحُكْمِ  
القَانُونِ فِي الدُّوْلِ القَائِمَةِ؟

مَا المَطْلُوبُ الآنَ؟ وَمَنْ أَيْنَ نَبْدَأُ؟ إِنَّ الَّذِي أَرَاهُ، أَنَّهُ يَجِبُ البَدْءُ مِنَ العَيْشِ  
المُشْتَرِكِ، القَائِمِ عَلَى التَّعَدُّدِ وَالعَرْتَرَاْفِ المُتَبَادِلِ، وَالإِرَادَةِ الحُرَّةِ، مِنْ أَجْلِ اسْتِنْقَاذِ  
الدَّوْلَةِ الوَطَنِيَّةِ، وَإِقَامَةِ الحُكْمِ الصَّالِحِ وَالرَّشِيدِ فِيهَا.

وَهَذَا هُوَ الأَمْرُ الَّذِي فَوَّتَّنَاهُ فِي العُقُودِ المَاضِيَةِ، فَتَهَدَّدَتِ الدَّوْلَةُ، ثُمَّ تَهَدَّدَ العَيْشُ  
المُشْتَرِكُ؛ وَلِذَلِكَ لَا بُدَّ مِنَ العَوْدَةِ إِلَى المُنْطَلِقَيْنِ المُتَوَازِيَيْنِ: العَيْشِ المُشْتَرِكِ،  
وَالدَّوْلَةِ الوَطَنِيَّةِ، أَمَّا المُوَاطَنَةُ وَإِحْقَاقُهَا، فَيَتَطَلَّبَانِ إِرَادَةً وَنِضَالًا لَدَى النُّخَبِ  
الوَاعِيَةِ وَالمَسْئُولَةِ، وَالسَّاعِيَةِ مِنْ طَرِيقِ الِانْتِخَابَاتِ الحُرَّةِ وَالمُؤَسَّسَاتِ لِإِقَامَةِ  
الحُكْمِ الصَّالِحِ.

كَيْفَ نَسْتَطِيعُ -نَحْنُ أَهْلَ العِلْمِ وَالدِّينِ- الإِسْهَامَ فِي إِقَامَةِ دَوْلَةِ المُوَاطَنَةِ، أَوْ  
الحُكْمِ الصَّالِحِ؟

إِنَّ أَوَّلَ مَا يَنْبَغِي عَلَى كُلِّ مَنَّا الْقِيَامُ بِهِ، إِخْرَاجُ الدِّينِ مِنْ حَمَاةِ الصَّرَاحِ السِّيَاسِيِّ،  
وَمِنْ مَوَارِيثِ التَّارِيخِ وَأَوْهَامِ المُسْتَقْبَلِ، فَلِكِي نَصُونَ الدِّينَ، وَنَعْمَلْ مَعَ الْعَامِلِينَ  
عَلَى بِنَاءِ دَوْلَةِ الْمُوَاطَنَةِ؛ يَنْبَغِي أَنْ نُرَبِّي وَنُعَلِّمَ الْوُظَّائِفَ الْأَخْلَاقِيَّةَ وَالْقِيَمِيَّةَ لِلدِّينِ،  
وَالَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا عُلَمَاؤُنَا بِالضَّرُورَاتِ الْخَمْسِ: حَقُّ النَّفْسِ، وَحَقُّ الْعَقْلِ، وَحَقُّ  
الدِّينِ، وَحَقُّ الْعَرَضِ أَوْ النَّسْلِ، وَحَقُّ الْمَلِكِ.

فَنَحْنُ مَعْنِيُونَ -بِحُكْمِ تَكْلِيفِنَا الدِّينِيِّ- بِقَضَايَا الْإِنْسَانِ، وَضُرُورَاتِ عَيْشِهِ  
وَحَرِّيَّاتِهِ، وَأَمْنِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ، أَوْلَمْ يَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قَرِيشٍ فِي «سُورَةِ الْإِيلَافِ» بِأَنَّهُ  
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ؟!

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عِنْدَنَا أَوْهَامٌ فِي إِمْكَانِيَّاتِ الْعَمَلِ، وَإِمْكَانِيَّاتِ التَّحَقُّقِ؛ إِذْ  
يَتَطَلَّبُ ذَلِكَ نَشَاطًا وَنِضَالًا مِنْ جَانِبِ فِئَاتِ الْمُتَقَفِّينَ وَالسِّيَاسِيِّينَ، وَأَهْلِ الْعِلْمِ  
وَالدِّينِ، وَالْقَوَى الشَّابَّةِ، وَحُصُولِ التَّضَامُنِ النُّضَالِيِّ بَيْنَ هَذِهِ الْفِئَاتِ عَسْرًا، لَكِنَّهُ  
لَيْسَ مُسْتَحِيلًا بِالنَّظَرِ لِلْأَهْدَافِ الْوِطَنِيَّةِ، وَالْأَخْطَارِ الْفَادِحَةِ.

بَيَدَ أَنَّ الْعُسْرَ الْآخَرَ أَوْ الثَّانِي آتٍ مِنْ انْكَفَاءِ أَهْلِ الْأَدْيَانِ وَمَخَافِهِمْ، وَهَذَا يَصْدُقُ  
عَلَى السَّوَادِ الْأَعْظَمِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَسِيحِيِّينَ، هُنَاكَ بِالطَّبَعِ عَنيفُونَ، وَضُدُّ الْعَيْشِ  
الْمَشْتَرِكِ، وَهُمْ يَسْتَعْمِدُونَ يَافِطَاتِ دِينِيَّةٍ، لَكِنَّ الشَّكْوَى الْآخَرَى هِيَ فِي  
الانْكَفَاءِ، وَبِتَعْبِيرِ الْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِعْرَاضُ أَهْلِ الْحَقِّ عَنِ الْمَطْلَبَةِ  
بِحَقِّهِمْ».

نعم.. هناك انكسارٌ لدى أهلِ الدِّينِ، ينبغي العملُ على الخروجِ منه، لمواجهةِ المتطرفينَ من جهةٍ، ولتربيةِ الأجيالِ على المواطنةِ والسَّلامِ والعيشِ المشتركِ من جهةٍ أخرى. وهذانِ واجبانِ، نتأهَّلُ في السَّنواتِ الأخيرةِ للقيامِ بهما، ونريدُ من زملائنا في الدِّياناتِ والمذاهبِ - كما نريدُ من المثقِّفينَ والإعلاميينَ - أن نعملَ كجماعةٍ واحدةٍ متضامنينَ؛ لإيقافِ هذا التَّصدُّعِ المُهلكِ في الدُّولِ والمجتمعاتِ، ولدعمِ الواعينَ من السِّياسيينَ، في عمليَّاتِ إقامةِ الحُكْمِ الصَّالحِ، وهو أهمُّ شروطِ تحقُّقِ المُواطَنةِ.

والسَّلامُ عليكم.